

اعترافات كاهن

info@darak-eg.com



02 24832669-010 27251915



51 ب شارع الزهدة - من امتداد رمسيس - القاهرة.



جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر.



اعترافات كاهن

أحمد شوقي مبارك

تصميم الغلاف: أسامة علام

تدقيق لغوي- تنسيق داخلي:

skon@sekoon.com

رقم الإيداع: 14684 /2017

الترقيم الدولي: 978-977-85316-2-6

الطبعة الأولى: 2017

أحمد شوقي مبارك

# اعترافات كاهن

رواية





## إهداء

الإهداء الأفضل سأقتبسه من أولى كلمات المخطوط الأصلي..

للأب الكاهن ”إسحق يعقوب“ ..

إلى الملك الذي ظننت ذات يوم أنه الشيطان!



عشت سنوَاتٍ أتوسل للرب أن يجعلني مميّزًا، ياليتَه ما استجاب!

الأب/ إسحق يعقوب





## ريتشارد

نظر لي شارداً وتأمّل السماء من نافذته المعدّنية المتزيّنة، هبط شعاعُ الشمسِ على رأسه، منعكساً من على سطح أحد جانبي زجاج النافذة؛ فصارت رأسه كشعلة نارٍ مُضيئة وسط ظلمة غير متفانية، وهمهم بكلماتٍ لم أهتم بسماعها قط. تحسس أذناي الكلمات بحثاً عن ضالتها؛ لتسكين آلام حيرتها وحمد نيران خوفها.

- تقريباً لاقيت طلبك، مكان وسعر معقولين جداً، فُربب من شغلك يادوب هتمشي عشر دقائق، لا مواصلات ولا غيره.

هبطتُ على أراضي القاهرة منذ ثلاثة أشهر بعدما خدمني كل من له نفوذ شرّفتني الدنيا بمعرفته، وساعدني الله كثيراً في ذلك حتى التحقت بفريق عمل جريدة "العاصمة". ثلاثة أشهر من عناءٍ راتبٍ أفقده في إيجارٍ مأوى يحفظني بداخله.

ثلاثة أشهر مفتقداً للريف والحاضرة وحفلات السمر تحت ضوء القمر، مزيلة بلفحة برد خفيفة قرابة الساعات الأولى للشروق. حياة بسيطة لم أهتمد بما هنا قط؛ فالיום كان رتيباً مملاً كشريط فيديو يُعاد يومياً بلا اختلافات طاغية أو مذكورة. كنتُ ذا موهبة ملحوظة في خلقِ عوالم من الهذيان أتعايش معها وأعيش فيها، أحكي لهم ويحكون لي.

كنت كإله في عوالم عقلي، كالقاضي في خلافتهم، كالطبيب في آلامهم،  
كعزرائيل في غضبي.

- طيب.. كويس.

كان هذا ردي، حقًا أنا إنسان قليل الكلام، دائمًا أكتفي بإيصال  
الفكرة فقط، كلمات دون داعٍ؛ فأنا أعلم بشكلٍ مؤكد أن شكلها لم يكن  
ليشكل فارقًا معي، وأثائها أتمناه قديمًا ذا طابع كلاسيكي - وهو بكل  
تأكيد كذلك-، لا وسائل مواصلات بين العمل والبيت؛ فلن أتعرض لزحام  
مواقف السيارات وتكدُّس الطُرقات وضياع الساعات في التنقل والاضطرار  
لمخاطبة الفضوليين جوارى عن الأحوال السياسية أو الانتقادات الدينية  
لكوني حامل صليب حول رقبتي؛ فكوني سأتفادى كل تلك المساوىء  
سأنال نعمة لا يقدرها الكثيرون. عملي هو محيطٌ من النفاق الذي لم أتوغل  
فيه منذ أول لحظة؛ فقد اعتكفت على موهبتي وكانت مصدر رزقي، حياة  
من الحكايات المسلسلة ذات الأصل الحقيقي والتاريخي، ولكنني كنت لا  
أنقل الوقائع كما يرونها هم، بل كنت أقصُّها أنا كما أراها.. كما فهمتها.

أذكر ذلك الإعلامي رمضان عبد الواحد الذي سقطَ قتبلاً بين لحظة  
والأخرى، والطب الشرعي يصر على أنه لا يوجد متهم سوى هبوطٍ حادٍ  
بالدورة الدموية!، جلبت لهم عشرات الأدلة على استحالة ذلك الفرض  
ولكنهم تجاهلوني!

كنت قد اقتربت من نهايةِ العقدين الأولين من حياتي في الأرض  
الخضراء، وتوسم فيّ هناك أول شاهد لحالي المتميزة كما اعتقدوا! حينها  
جاءني بقلمٍ وعدة أوراقٍ وهمس لي:

- اكتب..

تذكرت حكايات عن رسول المسلمين، عن جلوسه معتكفًا داخل غاره يتأمل الدنيا والحياة. يتأمل السماء والأرض. يعتكف ليرى ويذيل عنه غشاء الضلال والعمى. اعتزل للوحدة، ليزيل عن عينه أي أثرٍ للحياة الدنيا، فيعتقد المسلمون أنه كان يعلم أن هناك خالقًا لهذا الكون، كان يعلم أن هناك إلهًا عظيمًا يتطلع إليه دومًا، إلهًا هو من رفع تلك السماء ومهد تلك الأرض. إله غير تلك الأصنام المنتصبة في الطرقات بمكة وحينما أتم عقده الرابع من عمره وصار مستعدًا، همس له جبريل حامل الوحي العظيم:

- اكتب..

نظرتُ غير مُتذكِرٍ له هيئة أصفه بها، ورنين صدى كلمته يتردد في أذني عن الكتابة، ورددت عليه بعد وقتٍ استطال رغبًا عني:

- أكتب؟

تلاشت الذكرى من تلقاء نفسها، وفتحت عيني بعد أن خشيت من أن أكون قد نسيتها وصرت أعتمد على ما لدي من عيونٍ أخرى. أحيانًا يتساءل البعض عن رفيقه الملازم له في الجحيم، ولكنه لا يتساءل عن كيفية تفادي تلك الأبدية المؤلمة، ويصر على سؤاله الساذج الباحث فيه عن شريكٍ يتحمل معه العذاب، أما أنا؛ فلم يشغلني هذا أو ذاك.. بل شغلني سؤالٌ آخر، من صاحب العين المطمورة مثلي ومثل كل العظماء الذين كانت لهم أدوار هامة في تغيير مسارات حرجة في التاريخ؟

نفض من على كرسیه وابتعد عن موضع شعاع الشمس، ولكن رأسه ظلت محتفظة بتوهجها دون مصدر هذه المرة، ولاحظتُ إصراره على تفادي تلاقي أعيننا، وأردف قائلًا دفعه الحديث قليلًا:

- كويس إن عربيتي وصلت من التوكيل.. الطريق طويل أوي هناك!

كان مُعبأً بالدهون، جشعاً، مُطلقاً، وفقدَ أحدَ أبنائه في حادث طريق، تخرج من جوفه صرخات مظلومة وطعام أكله دون وجه حق. يخشى الفقر؛ فلم ينسَ أنه يوماً كان فقيراً. يخشى المرض، تُطارده ذكرى مريض لا يعرفه بصورة شخصية، ولكنه توسل إليه ذات يوم لينقذه فلم يساعده، رجع له ذلاً فنهره.. كما يخشى الناسَ لأنه يعتقد أنهم نسخٌ تطابقه. ويخشاني لأني أعلم كل هذا!

لم أقرأ كتاب "لغة الجسد" ولم تتسنَّ لي الفرصة لتصفُّح جُوجل، وغير مُقتنع مبدأً أن حركة العيون تخفي ما في الصدور، وأن حك الأنف يستر الكذب، وغيرها من الأمور المختلفة التي وضعناها لشرح علوم الفراسة، وكأننا دائماً نريد رفض فكره الاصطفاء الإلهي. الإنسان مثير للشفقة دائماً حين يظن نفسه قادراً على فهم العالم من حوله وأنه يحركه وفق قوانينه، يطغى بخياله فينسى أنه خليفة الله، ويظن أنه مساوٍ للخالق؛ فأرى أحياناً من يحاول توقُّع خطوات الرب لنا.. ولكن عبارة "إن الله لم يشئ لنا أن نعلم تلك أو ذاك" تُصغِّرنا أمام أنفسنا وتُربِّنا حجمنا الحقيقي وتصر على وضعنا أمام المرأة التي تتجاهلها حيناً ونكرها حيناً آخر.. وأرى أن تجاهل أمر ما هو إلا اعترافٌ واضحٌ وصريحٌ بوجوده، واللجوء لإنكار شيء نخشاه هو أمر مثير للشفقة.

تحرك هو وقد خُلِعت ملبسه أمام عيني، رأيتُه عارياً مرتعشاً، رأيتُه مذعوراً يتجه لسيارته ويحرص أشد الحرص على ألا ينظر لي حتى لا يرى نفسه في مرآة عيني، فتحتُ بابها وجلست بجانبه، أدار محرك سيارته بأنامل غير ثابتة، وأطال وقت التحرك، ونظر لي لأول مرة قائلاً:

- احفظ أسراي!

أومات برأسي إيجاباً، وابتسمت ساخراً، ورفعت من أمامي مظلة الشمس  
أردتها أن تغمرني بأشعتها لتتنسم لي رائحة الكون.

كنت في الصف الثاني من المرحلة الإعدادية حين سألت ذات يوم معلم  
مادة العلوم:

- تفتكر يا أستاذ العالم له ريحة؟!

زَعَقُ في، وسبني على سؤالي! معللاً ألا يجب مقاطعته أبداً، وأن  
استفساري لا يخص محور الحديث، كما كان يرى أنه لا يصح أبداً أن تبدأ  
بلفظ ”تفتكر“، وأن ”أستاذ“ لا يد دائماً أن تُتبع بكلمة ”حضرتك“. أثناء  
أحاديثه عن أمجادِه وبعثاته في الخارج، وحين أُطلقَ الجرس، اختلى بي وحدي  
وهمس في أذني:

- ماينفعش كل حاجة تشوفها تحكيها، ماينفعش كل حاجة تسمعها  
تردها، مش كل حاجة بتشوفها انت بالضروري غيرك يشوفها. إنت مميز  
بس متهور. ممكن تكون موجود في الدنيا عشان دور مهم لسه هتلعبه، بس  
لو فضلت كده هتخسر كل حاجة..

كنت صغيراً على أن أستوعب تلك الكلمات، كنت أنظر لعينيه  
وأراقب اهتزاز شفتيه.

تتحرك السيارة حيناً وتقف حيناً آخر تتقلب الأنوار وتعالى الصيحات  
والسباب، أغمض عيني فأجول بعوالم لم يُسمح لنا بمعرفتها، وأتعجب للمرء  
حينما يرى أن الله خلق كوناً ومجراتٍ، وعبأها بالكواكب والنجوم حتى يكون  
ساكنها الوحيد هو الإنسان. استخفَّ بهذه الثقة المبالغ فيها، واستحققر  
الآخر صاحب نظرية أنه كان هناك آخرون ذكروهم الرب بإحدى رسائله  
وبشارته السماوية!